كوسوڤو بين العجز والمراوغة والخداع(*)

أشرنا في مقالتنا السابقة إلى طرف من القمع الطويل المنظم الذي بدأه سلوبودان ميلوسيفتش في إقليم كوسوڤو منذ أن أعلن عام ١٩٨١ عن إلغاء الحكم الذاتي الذي كان يتمتع به سكان هذا الإقليم. وقد حملنا النظر في سياسة ميلوسوفيتش، وتصريحاته التي أطلقها بحق هؤلاء السكان.. إلى جانب حرب الإبادة والأحقاد الدينية والقومية التي شنّها عليهم.. حملنا ذلك على تشبيه الموقف الصربي من كوسوڤو بالموقف اليهودي من فلسطين ومن القدس على وجه الخصوص. كما حملنا على القول: إن ميلوسيفتش أقرب ما يكون من وجوه كثيرة إلى نتنياهو. وخصوصاً في سياسته الاستيطانية التي لم نشر إليها فيما سبق، حيث عمد إلى توطين آلاف اللاجئين الصرب من كرواتيا والبوسنة في إقليم كوسوڤو في المنازل التي هجرها أهلها أو أجبروا على تركها، والذين يربو عددهم على ربع مليون، بالإضافة إلى مشروع ضخم لبناء مساكن حديثة «تساهم في تكاليفها موازنة صربيا والتبرعات من داخل البلاد وخارجها».

واليوم وصلنا إلى المحطة الحاسمة في مصير كوسوڤو وسكانها من الألبان المسلمين الذي تقرب نسبتهم في هذا

الإقليم من تسعين بالمائة، ويربو عددهم على مليون وثلاثة أرباع المليون، حيث بدأت رحلة التهجير والعذاب والقتل وهتك الأعراض.. والزج في المعتقلات الجماعية.. بعد حرق القرى والمزارع.. وكل أنواع التوحش الصربي المعهود، والذي لا تعرفه الذئاب! وإن كنا قد وصفنا الصرب في مناسبة سابقة بأنهم ذئاب أوروبا! وأنهم لا يعفّون عما تعف عنه الوحوش الضواري وذئاب البراري.

أين العرب والمسلمون؟ أين أوروبا مهد الحضارة وحقوق الإنسان كما زعم الزاعمون؟ وأين الأمم المتحدة وشرعتها ومواثيقها ومعاهداتها وأجهزتها وسائر شعاراتها؟

أوروبا تراوغ وتخادع كما فعلت أيام حرب الإبادة في البوسنة دون أن يرفّ لساستها وقادتها جفن! بل إن هؤلاء السادة والقادة، فضلاً عن الوسطاء من أمثال اللورد أوين، هم الذين أعطوا الصرب الفرصة ليفعلوا ما فعلوا.. خصوصاً مع الرفض الدائم من قبل مجلس الأمن رفع الحظر على الأسلحة، والذي قصد به المسلمون لأن الصرب لديهم أسلحتهم وذخيرتهم التي آلت إليهم من الدولة اليوغوسلافية.. وإن من يعود اليوم إلى ملف البوسنة سوف لا يخفى عليه ملاحظة مدى الخداع والمراوغة، وربما كذلك الشماتة الخفية في تصريحات وتصرفات أمثال اللورد أوين وسايروس فانس ووزير خارجية بريطانيا المحافظ في ذلك الحين. فضلاً عن

الخداع والتآمر من قبل الأمم المتحدة ومجلس الأمن... والاشتراك في النهب والسلب و«حفلات» الاغتصاب من قبل ضباط الأمم المتحدة وجنودها.. إن هؤلاء لم يكونوا ذئاباً كالصرب فحسب، بل كان بعضهم كذلك كلاباً نهشت في أعراض المسلمات.. ربما بأحقاد من يسخر من قيم المسلمين وحضارتهم... بل والقيم الإنسانية جمعاء، فضلاً عن أبسط حقوق الإنسان!

ملف البوسنة بين يدي.. وهو ينتظر المؤرخين ليقرأوا فيه صورة من أسوأ صور التوحش البشري الأوروبي في أواخر القرن العشرين.. وأعترف هنا بأنني لا أقوى على متابعته وقراءة أحداثه لأن ذلك فوق طاقتي واحتمالي.

عاد الآن مسلسل الإرجاء والخداع والمراوغة مرة أخرى. جاء في تصريح لميلوسيفتش لجريدة ألمانية قوله: « لا أعتقد أن أية أقلية قومية في أي مكان في العالم تتمتع بذلك القدر من الحقوق التي تتمتع به الأقلية القومية الألبانية في صربيا». وحين عارضه المراسل قائلاً إن الألبان في كوسوفو ليسوا أقلية وإنما أكثرية أجاب: «إنهم في يوغوسلافيا أقلية قومية من دون شك. وإذا اعتبرت الأمور بشكل آخر فإن بإمكان المكسيكيين الذين يعيشون في جنوب تكساس أن يطلبوا الانضمام إلى المكسيك. إنها قضيتنا الخاصة ولن يحصل أي تدويل لها».

وأضاف ميلوسيفتش قائلاً: «وقد سرني ما قاله لي السيد

وزير الخارجية الألماني كلاوس كينكل بأن كوسوفو هي قضية صربيا الداخلية، وعلينا أن نحلها بأنفسنا. وهذا هو موقف البريطانيين والأمريكيين».

هذا ما قاله ميلوسيفتش في شهر تشرين الثاني – نوفمبر١٩٩٦ في الوقت الذي نشرت صحف بلغراد تصريحاً للسفير البريطاني لدى يوغوسلافيا الاتحادية « ايفور روبرت» قال فيه: «إن كوسوفو مسألة داخلية لجمهورية يوغوسلافيا الاتحادية (صربيا والجبل الأسود) ونحن لا ندعم فكرة ألبانيا الكبرى(!!) ولا أي تغيير للحدود من جانب واحد. وإن السياسة البريطانية تنطلق من أن كوسوفو جزء لا يتجزأ من يوغوسلافيا الاتحادية. ويعتبر المجتمع الدولي أن أي انفصال لكوسوفو، أيْ تغيير الحدود أمر غير مقبول، ويتعارض مع ميثاق الأمم المتحدة واتفاق هلسنكي، لذلك ينبغي حل هذه المسألة بالمحادثات بين الصرب والألبان بخصوص توفير مناخ الحياة الطبيعية» راجع جريدة الحياة العدد ١٢٣١٣ تاريخ ١١نوفمبر١٩٩٦.

قلت: وها هي الحياة الطبيعية بدأت بالظهور على إثر المحادثات التي أُرغم عليها إبراهيم روغوفا مع السفاح ميلوسيفتش! هذه هي الحياة التي يبشرنا بها السفير البريطاني المحترم، والذي اعتبر مطالبة إقليم كوسوفو بالاستقلال يتعارض مع ميثاق الأمم المتحدة واتفاق هلسنكي!!

أي ميثاق وأي أمم متحدة وأي كلام فارغ مزوق. ومزوّر!

حين كرس الصرب إلغاء الحكم الذاتي لكوسوفو بإصدار دستور جديد لجمهورية صربيا في ١٩٩٠/٩/٢٨، والذي جعل كوسوفو خاضعة بصورة كاملة لسلطات بلغراد... تصدى الألبان لهذه القرارات ونظموا استفتاءً شعبياً عام ١٩٩١ أسفر عن تأييد ساحق للاستقلال وتأسيس «جمهورية كوسوفو المستقلة» ولم يطالبوا بالطبع بتأسيس ألبانيا الكبرى كما قال السفير البريطاني. ثم أعقبوا ذلك بانتخابات رئاسية فاز فيها إبراهيم روغوفا وحصل حزبه «الاتحاد الديمقراطي لكوسوفو» المطالب بالاستقلال على غالبية المقاعد البرلمانية.

هل تتعارض الانتخابات مع ميثاق الأمم المتحدة وسائر الاتفاقات والمواثيق الدولية؟! وربما اتضحت لنا صورة المراوغة كاملة أو على حقيقتها إذا لاحظنا أن التصريحات الصربية التي تتحدث عن «القومية الألبانية» أو الأمة الألبانية تخفي الأبعاد الحقيقية للصراع «إذ هم لا يقصدون سوى الإسلام والمسلمين ضمناً، لأنهم يقولون: إننا نحمي أوروبا من الخطر الإسلامي، وعلى أوروبا أن تساعدنا» على حد عبارة مراسل جريدة الحياة في لندن، وكما نقلناه مع سائر أقواله وما كتبه قبل قليل.

هل يتوجب علينا أن نبحث عن أثر هذه الأقوال والتصريحات في الموقف الأوروبي؟ وهل يمكن لألبانيا بوصفها أفقر بلد في أوروبا حتى إن الألبان أنفسهم يصفونها بأنها

بانغلاديش أوروبا.. وللألبان الذين شهدت بلادهم كأثر من آثار مؤتمر لندن المذكور تطبيق النظام العلماني وإلغاء الحروف العربية.. قبل أن يخضعوا لممارسات الإلحاد الشيوعي في ألبانيا وكوسوفو.. حتى لم يبق لديهم من سمات الإسلام والثقافة الإسلامية سوى القليل النادر.. هل يمكن لهؤلاء أن يشكلوا خطراً على أوروبا، وأن يشكل إسلامهم خطراً على مسيحيتها؟ أم إنها الأحقاد التاريخية أو الأنانية الأوروبية التي تتعامل مع جميع المناطق الساخنة خارج أوروبا فقط بمنطق الخشية من اتساع رقعة القتال، والتخوف على السلام العالمي!

وأنت ياسيادة الأمين العام للأمم المتحدة.. أيها الإفريقي الأسود هل تستطيع أن تفعل شيئاً بعد أن خلعت عن عاتقك معطف النفاق الأبيض؟ فتنجد أطفال كوسوفو ونساءه وشيوخه بشيء من الأعراف الإنسانية التي عرفتها القبائل الإفريقية قبل آلاف السنين، لأن هذه الأعراف أشرف مائة مرة من أعراف الأمم المتحدة، وشرعة الحضارة الأوروبية وحلف شمال الأطلسي والإعلان العالمي لحقوق الإنسان؟!

أما العرب والمسلمون فإن ما يعرفه كاتب هذه السطور عن حقوق الحيوان في الإسلام يفوق حقوق الإنسان غير الأوروبي وغير المسيحي في الحضارة الغربية.. ولكن بعض العرب والمسلمين يستعد للحياة على طريقة الهنود الحمر، والبعض الآخر دخل في سبات مع «أهل الكهوف»... الليلية هذه المرة.

والبعض الأخير قدم استقالته من التاريخ ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾.

(*) ١٩٩٨/٦/٢٤.